دلبتا

نبذة تاريخية

للخوري بطرس روفائيل

الفصل السادس

بعض رجالها المتوفين (تتمة)

٩ البطريرك يوحنا الحاج

ولد في دلبتا في ١ تشرين الثاني سنة ١٨١٧ ، ودعي مرعي باسم جده . وكان والداه مثالاً حياً في العيشة المسيحية والتقوى ولما كبر اختار له مرشداً روحياً ينير عقله ويهذب ارادته الخوري يوحنا روفائيل ، احد تلامذة مدرسة رومية ، فالاعمال الصالحة التي رآها حوله والنصائح السديدة التي سمعها صادفت ارضاً خصيبة فانبتت واثمرت . فما كاد يبلغ ١٣ سنة من عمره حتى صرح بميله الى الكهنوت ، فأدخل مدرسة عين ورقة سنة ١٨٣٠ . وفي ذلك الحين وجه البطريرك يوسف حبيش جلّ اهتمامه الى اصلاح الاكليروس ، فامر بان يزاد على بيان الدروس في المدرسة المذكورة تعليم اللغتين اللاتينية والايطالية فحاز مرعي قصبات السبق بين اقرانه علماً وادباً ، وسيم كاهناً سنة ١٨٣٩ باسم يوحنا . وفي تلك السنة عينها ارسله البطريرك الى بيت الدين ليدرس الحقوق على الشيخ بشاره الخوري ، الفقيه المشهور . وفي سنة ١٨٤٤ تولى القضاء برفقة الخوري يوحنا حبيب في عهد الامير حيدر اسمعيل فكانا يقضيان في دعاوي النصارى خارجاً عن المحكمة . وبعد ان استقال الخوري يوحنا حبيب من القضاء سمّى البطريرك يوسف الخازن المترجم قاضياً للموارنة في ديوان قائمقامية النصارى سنة ١٨٥٢ . ولما توفي الامير حيدر سنة ١٨٥٤ ، تولى الحكم الامير بشير احمد فتنحى الخوري يوحنا عن منصبه بسبب خلاف حدث بينه وبين الحاكم الجديد الذي كان يترع الى التدخل في امور العدلية ، وتقلد حالاً وظيفة امين اسرار

القصادة الرسولية في ايام السيد برونوني . غير ان الامير بشير احمد طلب سنة ١٨٥٥ الى البطريرك بولس مسعد اعادة الخوري يوحنا الى وظيفته السابقة في القضاء ، فامره البطريرك بالرجوع ، فشقّ عليه ذلك كثيراً لكنه اذعن لارادة رئيسه وسلك مسلك النزاهة والانصاف وعدم المحاباة. فلما رأى الامير استقلال القاضي في اجراء العدل دون مداراة خواطر تهيبه واحترمه احتراماً جزيلاً وتحاشى معارضته . وفي سنة ١٨٥٨ دبّر بعض الامراء واولياء الامر حركة على الامير فكان الخوري يوحنا من المناضلين عنه [1] .

وفي اثناء مذبحة سنة ١٨٦٠ نزل الخوري يوحنا وجميع اعضاء الديوان الى بيروت ، فرأى ما حاق بالمسيحيين من الجور والقتل والسلب والنهب فاحزنه هذا المنظر كثيراً وأهزل جسمه وجعله طريح الفراش. ومع هذا كله لم يكفّ عن المحاماة عن حقوق المظلومين بل اخذ قلمه وشحذ قريحته ووضع كرّاساً وصف فيه تلك الاعمال المريعة ، وبرّأ ببراهين سديدة ساحة ابناء طائفته من تبعة وقوع تلك الفظائع ، وسلم ذلك الكراس مترجماً الى الافرنسية الى السيد سيكابيترا رئيس اساقفة ازمير اللاتيني ، الذي كان موجوداً وقتئذٍ في بيروت، وسأله نشره في الاصقاع الاوربية واذاعة مضمونه على رؤوس الملا ، ليعرف اهل الغرب ما حلّ بمسيحيي لبنان وسورية من الويلات . وكان يعتقد ان ذلك انسب وسيلة لردع الظالمين ومعاقبة المذنبين والتعويض مما حدث من اراقة دماء وتخريب بيوت واحراق كنائس.

وقد شعرت الحكومة العثمانية بسوء عاقبة تدخل اوربة في الامر ، فأوعزت سرّاً الى عمّالها في الجبل وفي الولايات ان يسعوا لعقد الصلح بين الفريقين على طريقة مضى ما مضى ، ويحرّروا صكاً فيه يتنزّل المسيحيون عن طلب حقوقهم ويسامحون الجناة بالاضرار التي لحقت بهم . فأنشئ الصكّ المطلوب ووقعه موظفو الحكومة وكثير من الامراء والمشائخ واعضاء الديوان ولما عُرض على الخوري يوحنا ابى توقيعه مدلياً بحجج واهنة منها : اولاً ان الصك

---

١) الخوري منصور: المقاطعة الكسروانية ص ٢٢٣ و٢٢٤.

غير مبني على مبادئ العدل والانصاف وعليه لا يرى نفسه ملتزماً لا ذمة ولا شرعاً بامضائه. ثانياً ان ما وقع من المظالم لا بدّ ان يلفت نظر الدول الاوربية فتتفق بحال المسيحيين الشرقيين وتأخذ بناصرهم فمتى وجدت هذا الصك وعلمت بما حواه ان كذباً او صدقاً تعدل عن التدخل . ثالثاً انه ينجم عن توقيعه اضرار جسيمة تلحق بالايتام والاطفال الذين قُتل أهلهم ، وهو المحامي الشرعي عنهم . رابعاً انه سبق ونشر كراساً وصف فيه بتدقيق كل ما جرى فلا يقدر ان يكذب نفسه . فشقّ خبر رفضه كثيراً على اولياء الامر ، فاخذوا يلحّون عليه ويضايقونه فلم يتزحزح عن عزمه . ثم ابانوا له انه قد ينشأ من تمنعه هذا خراب عظيم لان المسيحيين قد تركوا املاكهم واشغالهم وتجارتهم وانهزموا الى الجبال ، ولم يبقَ منهم الا قليلون مختبئين في بيوتهم فاجابهم : « ان الخراب الذي تتوهمون حدوثه فعلى الدولة استدراكه » . قال هذا وهو متأكد في سرّه ان لا مناص له من توقيع ذاك الصكّ غير انه كان يماطلهم عن حكمة وفطنة اذ كان يأمل ان تصل قريباً نجدات اوربية ترفع الضيم فضلاً عن انه كان يرغب في ان يبلغ تسويفه هذا مسامعَ قناصل الدول فيثبت عندهم اصراره في مناصرة الحق واكراهه على التوقيع ، فلا يبقى لهذا الصكّ فائدة تُرجى ان صار البحث عنه فيما بعد .

واذ لم يعد في وسعه المماطلة والرفض وقع الصكّ بختم جديد غير مستعمل منه فاستشاط خورشيد باشا غيظاً ، وامره بان لا يختم بعد ذلك على ما يُقدّم اليه من الاوراق الا به . فلم يُعبأ الخوري يوحنا بكلامه ولم يستعمل قطّ ذاك الختم . وما مرّت مدة وجيزة حتى وفدت السفراء الفرنسوية ، فاجتمع مندوبو الدول للبحث عن كيفية تحصيل حقوق المظلومين فقدّمت الدولة العثمانية حينئذ صكّ المصالحة المذكور فلم يعيروه اهمية بل نبذوه قائلين : « ان قاضي الطائفة المارونية قد رفض رفضاً باتاً توقيعه ولم يختمه الا مقسوراً[1] » .

وكان قد توفي سنة ١٨٥٨ المطران انطون الخازن ، رئيس اساقفة بعلبك ،

---

١) النبذة ص ٥٠ وما يليها .

فعيّن البطريرك بولس مسعد الخوري يوسف اصاف رئيس مدرسة مار عبدا هرهريا لادارة الابرشية في مدة ترملها . وبقيت هذه الحال الى سنة ١٨٦١ ، فوقع الانتخاب على الخوري يوحنا فسيح اسقفاً في الديمان في ١٥ آب من تلك السنة . فاتخذ المطران الجديد دير سيدة الحقلة محلًا لاقامته ، اذ لم يكن للابرشية كرسي ثابت ولا املاك خاصة . وكان سلفاؤه يقيمون في الاديرة التي لمياهم حقّ الولاية عليها ، فالمطران انطون الخازن ، الذي دبّر الابرشية اكثر من خمسين سنة ، عاش في دير بقلوش الخاص باسرته الخازنية . وكان قبله المطارنة جبرائيل الاول ، وجبرائيل الثاني ، وبطرس ، وثلاثتهم من عائلة مبارك ، سكنوا في دير ريفون الخاص بعائلتهم . غير ان المترجم كان يقضي ، وهو مطران ابرشية ، قسماً من كل عام في الكرسي البطريركي قياماً بما كان يعهده اليه البطريرك بولس مسعد من الامور ، لانه كان يعوّل عليه لما كان عليه من اصابة الرأي في حلّ المشاكل .

وفي ذلك الحين كانت ابرشيته في اسوأ حال ، بعد ان لبثت ثلاث سنين بدون راعٍ ، وحدثت ثورة الاهالي على المشائخ ؛ فباشر حالًا زيارة رعاياه ليصلح ما خلّ ويكمل ما نقص . فاستدعى اليه الخوري فرنسيس الشنالي الواعظ الشهير ، وأرفقه ببعض الكهنة ، فكانوا يتقدّمونه ويهيئون النفوس بالوعظ والارشاد وتوزيع الاسرار . وافتتح زيارته هذه في بلدة مزرعة كفردبيان التي كانت وقتئذٍ من ابرشيته ، وهناك وافاه بعض العرب البدو كان سكّان المزرعة نهبوهم ، فشكوا امرهم الى المطران فأنصفهم وردّت اليهم مسلوباتهم . وفي سنة ١٨٦٢ زار مدينة بعلبك وجوارها وبعد ان فاوض والي الشام مفاوضات طويلة ، نال تنصيب عضوٍ ماروني في محكمة ذاك القضاء ليناضل عن حقوق ابناء طائفته في تلك البقاع .

وكانت غرفته الحقيرة في دير الحقلة محجا لكل اللبنانيين على اختلاف اديانهم فيقبلون اليه من كلّ فجّ وصوب ، لانهم كانوا يعتبرونه ليس رئيس دين فحسب بل قاضياً وحاكماً فيقضي حاجاتهم ويفكّ مشكلاتهم . ولما صدر الامر بمسح الاراضي في لبنان ، اتفق سكان الشمال وكسروان على معارضة

الحكومة ؛ غير ان المطران يوحنا رأى ان الفرصة موافقة لاجراء المسح لوجود بعض ظروف تساعد على حفظ العدالة والتسوية فطلب مباشرته والبدء به في قرى جرود كسروان . ومن ثم توجه الى مزرعة كفردبيان ولبث ملازماً مأموري المساحة مترصداً تخمينهم ، ليس فقط في قرى ابرشيته ، بل في كل قرى كسروان مدرباً اياهم في اعمالهم كي لا يتجاوزوا العدل والانصاف ، مدافعاً عن حقوق المظلومين ، ومناضلاً عن املاك الاوقاف ، ومسكناً المشاجرات والمخاصمات ، حتى انتهى المسح سنة ١٨٦٥ . وفي آخر تلك السنة ثارت الفتنة بين داود باشا ، متصرف الجبل ، ويوسف بك كرم . فنهض هذا الاخير برجاله وجاء دير مار ضوميط البوار ، فارسل اليه البطريرك بولس مسعد المطرانين يوحنا الحاج ويوسف جمجع ليوضحا له غوائل فعله الوخيمة ويقنعاه بالرجوع عن غيّه ، فلم يرضخ لكلامهما بل شهر الحرب وجرى ما جرى كما يذكر التاريخ .

وقد فكر المترجم منذ السنة الاولى لارتقائه درجة الاسقفية في تزيين بيت الله ، فاستجلب الشيء الكثير من الآنية المقدسة والصور والملابس البيعية والزهور والشماعدين وما هو من نحوها ، ووزعها على كنائس ابرشيته مراعياً في توزيعه احتياج كلّ منها ومقدرتها المالية . واعتنى في تشييد الكنائس منها كنيسة مار جرجس في صربا فقد اشترى لبنيانها قطعة ارض من وكيل بطريرك الروم الكاثوليك غريغوريوس يوسف كان هذا الاخير اعدّها لاقامة مدرسة لطائفته .

وفي سنة ١٨٧٤ جاء لبنان راساليون انكليز مصحوبون بكتابة من الحكومة العثمانية تؤذن لهم بجرّ ماء نهر الكلب الى بيروت ، فتصدّى لهم اصحاب المطاحن والاراضي خوفاً من الخسارة التي تلحق باملاكهم من جرّاء قطع الماء عنها في فصل الصيف . فمنع ذلك « تعاطى امر الوفاق بينهم المطران يوحنا الحاج واخذ من التجار المذكورين بدل التعطيل الى دير مار يوسف البرج لقاء تعطيل طاحونه ١٢٥ الف غرش له والى دير سيدة اللويزة قدرها والى باقي اصحاب الاملاك كل بقدر ما لحقه من الضرر وربط الوفاق بين الرهبان والشركة باثني عشر شرطاً درجت مع صكوك البيع في سجلّ المحاكمة بمركز المتصرفية » .[1]

١) الخوري منصور : المقاطعة الكسروانية ، ص ٣٠ وما يليها .

واما عمه الاكبر فكان انشاء كرسي لابرشيته فاخذ يجهد نفسه في هذا السبيل ، فوفقه الله الى ذلك باقرب وقت فابتاع اولا املاكاً في لاسا من المشائخ الحمادية المتاولة ، ثم في افقا والمغيرة وقرقوريا ، وفي سرعين وشمسطار في بلاد بعلبك ، وفي الماقورة وبستان العصا ، ثم في الكفور وفتقا والجديدة وعرامون ودلبتا وغزير وجونية ، وفي امكنة غيرها . وقد اشترى كل ما اشتراه من دخل الابرشية ومن التقادم الكثيرة المرفوعة اليه من الذين كانوا يتقاطرون اليه ملتجئين لتدبير امورهم : ولما كانت قرية عرامون واقعة تقريباً في وسط ابرشيته رغب في ان يجعل محل اقامته فيها ، فابتاع سنة ١٨٦٧ دار الشيخ ناصيف الدحداح ، انما حال دون بناء الكرسي فيها دواع صوابية . وفي ١٨٨٠ اشترى دار قعدان بك الخازن فرممها وجعلها لسكناه ولسكنى حاشيته .

وفي شهر نيسان من سنة ١٨٩٠ توفي البطريرك بولس مسعد ، فخلفه المطران يوحنا الحاج ، ونال التثبيت وردع الرئاسة على يد قاصده المطران الياس الحويك ، في ٢٣ حزيران من السنة عينها . وحينئذ خص الكرسي البطريركي ببعض الاملاك التي شراها في مدة اسقفيته ، ووقف بعضها الآخر على انشاء مدرسة عليا اكليريكية تقام بجانب البطريركية يدرس فيها النتخبون من المدارس الاكليريكية الاخرى الشرع البيعي والعلوم العالية ، واختص مدرسة عين ورقة بهبة عودتين مساعدة لها واقراراً بالجميل لانه كان من تلامذتها ، وابقى لكرسي بعلبك ما يقوم بنفقة المطران ومدرسة اكليريكية على سعة[1] .

ومن اعماله الخطيرة في بطريركيته تجديد دير بكركي على طراز حديث حتى اصبح قصراً لائقاً بمقام رئيس امة كبيرة ، وشرع في تشييد مصيف جديد في الديمان بعد قليلاً عما بناه البطريرك يوسف حبيش انما لم يُتمم منه الا قسماً سفلياً : « وقد سعى نائبه المطران الياس الحويك بارشاده فنال تجديد مدرسة الموارنة برومة بفضل السعيد الذكر البابا لاون الثالث عشر[2] ونال ايضاً من فضل حكومة فرنسة ثمانية كراسي لثمانية تلاميذ موارنة يتعلمون العلوم الكهنوتية

---

١) المطران يوسف الدبس : تاريخ الموارنة ، ص ٥٥٨ .

٢) أعلن رسمياً افتتاح مدرسة الموارنة الرومانية ببراءة « *Sapienter olim* » مؤرخة

بمدرسة سان سولبيس بباريس على نفقة الحكومة الافرنسية واشترى ايضاً في القدس بواسطة نائبه الفيور المقدام المطران الياس الحويك داراً يقيم فيها نائب بطريركي يعتني بشؤون ابناء طائفته المقيمين والمترددين الى هناك ». [1]

وكان البطريرك يوحنا الحاج في كل ايام حياته صديقاً مخلصاً للمرسلين اللاتين ، ومحامياً شجاعاً عن مشاريعهم وله في ذلك مواقف عديدة منها موقفه سنة ١٨٩٤ ، لما استدعى البابا لاون الثالث عشر بطاركة الشرق ليستطلع آراءهم في احوال الكنائس الشرقية ، واخص الوسائل الواجب اعتمادها في سبيل اصلاح شؤونها ، واعادة المسيحيين المنفصلين الى وحدة الكنيسة ، ووضع قواعد وطيدة وترتيبات راهنة[2] . فاعلن البطريرك ، برسالة الى البابا ، خضوعه التام لكل ما يأمر به الكرسي الرسولي ، وجاهر بجزم ودون مراعاة بشرية بالاعتراف بجميل صنيع مجمع نشر الايمان الذي يسعى من مدة اجيال وراء غاية سامية وهي انماء مجد الله وخلاص النفوس ، واثنى على القصاد الرسوليين الذين استشعروا روح المجمع المقدس ووضعوه موضع العمل ، وعلى المرسلين اللاتين الذين كفروا بذواتهم وضحّوا بكل شيء لدن كل مائتة حتى بذلوا حياتهم ايضاً دون نشر نعم الرسالة بين الشعوب . وقد قال : « ليس في الكنيسة لا يونان ولا لاتين ولا ارمن ولا موارنة بل مسيحيون خاضعون لنائب المسيح » . فاستحق المدح والشكر على صراحته وشجاعته ، فكتب اليه الحبر الاعظم في ٧ اذار سنة ١٨٩٥ ومما قال هذا « وانت بصفة كونك الوارث والحارس لايمان وتهذيب اجدادك الذي حفظته طائفتك الكريمة صحيحاً سالماً تستحق اطراءنا ولست تبقي لنا محلاً للريب في انك وان لم تشهد بنفسك الاجتماعات التي عقدناها مع الاخوة المحترمين بطاركة المشرق تسلم بكل الامور التي قررناها ووضعناها في رسالتنا الرسولية التي اصدرناها عقب ذلك وعليه فاننا بل المحبة الابوية نعانقك ونعانق

---

١) المطران يوسف الدبس : تاريخ الموارنة ، ص ٥٥٨ . في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٨٩١ .

٢) ان تلك القواعد والترتيبات قد ضمنها الحبر الاعظم في رسالته العجيبة الصادرة في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٨٩٤ المبدوءة بالكلمات التالية : « ان شرف الكنائس الشرقية » (*Orientalium dignitas Ecclesiarum*) .

المؤمنين الذين تحت ولايتك ونريد ان تكونوا على يقين من اننا سنحرص كل الحرص كما فعلنا مرارًا من قبل على سلامة صيانتكم ومجدكم . . . » ومما كتب اليه الكردينال ليدوكسكي ، رئيس مجمع نشر الايمان المقدس ، في ١٨ شباط سنة ١٨٩٥ م حرفيته : « فهذا الرقيم (المرفوع الى الاب الاقدس) . . . أراه خليقاً برئيس الكنيسة والطائفة المارونية الكريمة التي باتحادها الدائم الصادق بكرسي القديس بطرس المعصوم من الغلط قد حافظت ودافعت في الشرق عن الايمان الكاثوليكي المقدس في كل آونة من تاريخ الكنيسة وعملت على ارجاع الطوائف المنفصلة من ذوي الطقوس الاخرى ولاسيما السريان والروم الملكيين في القرن الحالي . »[1]

وقد كتب من عرف هذا البطريرك من المؤرخين انه « كان ماضي العزيمة عالي الهمة صائب الرأي قد حنكته التجارب العديدة وسبر غور تقلب الايام وعرف مواقع اعمال الرجال وكيفية التصرف في كل المسالك ولهذا لم يحدث في عهده حادث يهم ذكره بل كان السلام والامان مخيماً فوق ضواحي لبنان وقد شهد لهذا البطريرك حتى خصامه انه داهية عصره وشيخ دهره وقيل انه لم يعثر عثرة كان فيها مغلوباً انما كان الفوز يلازمه في كل اعماله وتصرفاته مع حدة طباعه »[2] ويروى عنه في التدبير ومعالجة الامور مع الحكام والرجال السياسيين نوادر تدل على دهاء مدهش غريب . ومن جالسه رآه متقدًا حباً لطائفته ، وعاملًا بكل مكنته على اعلاء شأنها ورفع منارها ، غير هياب من ناوأه او ضاده في ذلك . عاش بطريركاً ٨ سنين ، توفي في ٢٤ ك١ سنة ١٨٩٨ ، وله من العمر ٨١ سنة ، ودُفن في كنيسة كرسيه في بكركي .

١٠ موسى مراد

ان المترجم جعل لعائلته منزلة كبرى فاصبحت من اوجه الاسر في كسروان . لبث مدة وكيلًا على ارزاق الامير يوسف شهاب والمشائخ الخازنيين في ضبيه

---

١) الخوري ميخائيل غبريل : تاريخ الكنيسة المارونية ، المجلد الثاني ، القسم الاول ، ص ٨١١ و٨١٢ ٢) الكتاب المذكور ، المجلد الثاني ، القسم الاول ، ص ٨٠٢

والنقاش وحالات ، ثم تعاطى تجارة الحرير مع دمشق فربح منها اموالاً جزيلة ، وانصبّ على مشترى العقارات حتى قيل انه امتلك بجدّه ومالـه نحو مائة « عودة » واصبح من اكبر المتموّلين والملّاكين في مقاطعته . وكان لـه حظوة كبرى في عيني الامير بشير الكبير ، فجعله صرّافاً على اخيه الامير حسن الذي توفي سنة ١٨٠٨ ولما التأم مجمع الطائفة المارونية المعروف بمجمع اللويزة سنة ١٨١٨ ، اقامه الامير بشير صرّافاً على المجمع المـذكور . واذ تأكد ان ولده نجماً صار قادراً على مواصلة اشغال متجره تنازل له عنها سنة ١٨٣٨ . اما هو فانصرف الى الاعمال الروحية . توفي سنة ١٨٤٧ في الثالثة والثمانين من عمره . وله اياد بيضاء على كنيسة مار يعقوب واوقافها .

١١ الخوري يوسف الشاعر

ان المذكور من عائلة الخوري ، ولد سنة ١٨٣٤ وقضى مـدةً في خدمة الخوري يوحنا حبيب الذي كان وقتئذٍ قاضي النصارى . فبعد ان توسّم فيـه مخدومه ملامح التقوى والنجابة ادخله مدرسة مار عبدا هرهريا ليتهذّب التهذيب الاكليريكي ويقتبس العلوم . ولما انهى دروسه رجع الى خدمة الخوري يوحنا . وفي سنة ١٨٥٦ رُقّي الى درجة الكهنوت بوضع يـد المطران يوسف رزق ، وقد استدعاه سنة ١٨٥٩ مطران بيروت ، طوبيا عون ، بمساعي الخوري يوحنا حبيب ، الى وظيفة امين اسراره ؛ فما لبث ان اكتسب نفوذاً عالياً ونال نجاحاً باهراً في اعماله ؛ فاخذ المطران يعتمد عليه في اتمام اشغاله وانجاز مهامه وعيّنه ، عند سفره الى رومية سنة ١٨٦٢ ، نائباً عاماً على الابرشيـة ، فـاش النفوس بكل غيرة ، وادار املاك الكرسي بكل امانة ، وفكّ المشكلات المعترضة له بكل حكمة حتى صار له منزلة كبرى ليس عند ابناء طائفته فحسب بل عند عموم الطوائف ومعتمدي الدول .

وبعد رجوع المطران طوبيا رغب في ان يجعله اسقفاً معاوناً له ، وقد سعى كثيراً في سبيل ذلك ، غير ان الظروف عاكسته فسمّاه نائباً عاماً على الابرشية وقدم عريضة الى الحبر الاعظم بيوس التاسع التمس فيها تثبيت هـذا التعيين

ومنح كل الانعامات المتعلقة بهذه الوظيفة وذلك ليمنع كل العراقيل . فاجابه البابا الى طلبه بواسطة مجمع انتشار الايمان ، وهذه حرفية الجواب مسطرة على العريضة المذكورة : « انه في المواجهة الواقعة في ٢٥ حزيران سنة ١٨٧٠ قد تفضل بحلم قداسة الاب الاقدس البابا بيوس التاسع وامرني انا المدوّن اسمي ادناه لودوفيكوس جاكوبيني كاتب اسرار مجمع انتشار الايمان المقدس فيما يتعلق باعمال الطوائف الشرقية بان أعلن انه اجاب التماس سيادته المنوّه به اعلاه ومنح التفويض المطلوب للاب الموصى اليه . . . [1] » . فسلم المطران طوبيا الخوري يوسف اعلاماً بوظيفته وارسله ، فزار الابرشية ومنح الاولاد سرّ التثبيت وتمم مقتضيات الزيارة الرعائية من وعظ وارشاد وحل مشكلات وانجاز دعاوٍ وذلك بكل امانة ونشاط حتى شهد الجميع بكفاءته . وبعد وفاة المطران طوبيا ، ارسل البطريرك بولس مسعد من يطرف في المدن والقرى مستفتياً الاهالي لانتخاب مطران جديد ، فنال الخوري يوسف اكثرية الاصوات . غير ان البطريرك امر باعادة الانتخاب لانه يريد ان يقف على هذه الابرشية المهمة كاهناً يعرف لغة اوربية . فلما درى اهل بيروت بنية البطريرك سلموه تدبير الامر وحذا حذوهم سكّان المعلقة والحدث وبعض الامراء . فعند ذاك اظهر الخوري يوسف من حسن التصرّف ما اعجب الجميع فأعلن انه لا يرغب ولا يحبّ ان ينتخبه احد ، فرقي حينئذٍ الخوري يوسف الدبس الى درجة الاسقفية سنة ١٨٧٢ واما المترجم فترك بيروت ، وجاء دير الكريم ، فقريته دلبتا . وفي سنة ١٨٧٥ عُيّن قاضياً لمحكمة قضاء كسروان فافتقدته هذه الوظيفة كثيرين من اصحابه ومحبّيه . وسنة ١٨٨٣ حكم متصرف لبنان واصه باشا بان لا يكون قضاة المحاكم من الكهنة فعُزل الخوري يوسف من منصبه في محكمة كسروان ، ولم يكن حينئذٍ باقياً من القضاة الكهنة في محاكم الجبل غيره . توفي سنة ١٨٨٨ [2] .

---

١) النبذة ٥ ص ٨٢ . ٢) النبذة : ص ٨٤ وما يليها .

انتهى